ويهبوا من نومهم ويلتفتوا الى اصلاح شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية ...(٦٧). مع كل هذا فصاحب الكرمل نفسه لا ينكر « ان عددا من المتنورين وارباب الصحف والموظفين قدر لنا هذه الخدمة وادرك الخطر وصار يتعاون معنا »(٦٨).

يكفي مثلا على قيمة الدعوة التي بثتها الصحافة الفلسطينية هو ان الصهيونيين انفسهم لم يستهينوا بها ومن هنا كانت الحملة الصهيونية المضادة لابطال مفعولها . وجهت هذه الحملة الى فلسطين والكرمل معا وخاصة بعد ان اتخذت جريدة (فلسطين) خطا صريحا في المواجهة . وشدت الكرمل ازر (فلسطين) ونبهت الحكومة الى تلك الضجة التي تثيرها ضد فلسطين جريدة « احيروت العبرانية وهي جريدة تعيش تحت سماء العثمانية وتخدم المبدأ الصهيوني ... »(٦٩). وعن طريق المقطم وجدت حملة الصهيونية المضادة بابا آخر ، وكانت الكرمل قد نبهت في أواخر ١٩١٢(٧٠) الى أمر اسكان الحكومة لمهاجري البلقان من المسلمين في فلسطين في القرى التي يبيعها اصحابها « ... فهذا اضمن لمستقبل العثمانية من الافساح للجمعيات الصهيونية بالاستعمار ... » . وهاجمت المقطم الفكرة لانها خطة خفية رتبتها الحكومة اضعافا للجنسية العربية . وعجبت الكرمل(٧١) « ... لاهتزاز احد مكاتبي المقطم لدخول مائة تركي الى سوريا هربا من ويلات الحرب ... وعهدنا بالمقطم مفتوح الصدر لمقالات الكتبة الصهيونيين الذين جاهروا بكون البلاد السورية قليلة السكان وان الصهيونيين آتون لاستعمارها واستثمارها ... » وتساءلت « ... ليس من المعقول ان يكون امثال (الدكاترة) غير مطلعين على الانسكلوبيديا اليهودية والحركة الصهيونية وتصريحات زعمائها ... فكيف لم يخف المقطم على العرب وعنصرهم من الصهيونية ... ولم يكتب كلمة تحذير منها » .

تطور جديد كان يحدث في الاستانة في مطلع ١٩١٣ ، اذ ان هزيمة القوات العثمانية امام جيوش حلف البلقان اعطى الاتحاديين فرصة اسقاط الوزارة الائتلافية ٢٣ يناير ١٩١٣ بحجة استئناف الحرب . ولم يكن للتغير الوزاري الجديد اثر كبير لدى الرأي العربي في سوريا وفلسطين ، اذ يضاف الى القلق الذي بدأ يساور العاملين بحركة الاصلاح ، نظرا لما يعرف عن الاتحاديين بالميل الى سياسة التتريك والمركزية الشديدة ، فانه فيما يتعلق بالمسألة الصهيونية لم يكن للاتحاديين سند كبير لدى الرأي المحلي لما بدا من ميل الحكومات الاتحادية لمناصرة الصهيونية . ظلت الكرمل حذرة ، واوضحت في كتاب مفتوح(٧٢) الى اعضاء الوزارة انه لم يبق للترك عنصر كبير غير العرب ليعتمدوا عليه في المحافظة على ما بقي من الملك وتقويته . واتخاذ هذا الموقف لم يكن يعني ان صاحبها من انصار الوزارة « اذ لن يكون ذلك قبلما تبين ابتعادها عن الصهيونية وعدولها عن سياسة تتريك العرب ... » أمر آخر دفعه الى التحفظ : اذ مع كون الوزارة الائتلافية كانت اقل ميلا للصهيونية من الوزارات الاتحادية ، الا ان موظفيها لم يظهروا اقل عناية في مقاومة البيوع الصهيونية ودفع خطرها عن البلاد . ومن جهة اخرى كان لا يزال يأمل « ... ان الاتحاديين بعد ان ... قاموا بعمل الانقلاب الاخير بحجة انقاذ الوطن ان لا يدعوا فلسطين تسقط عفوا في ايدي الاجانب الطامعين فيها ... » . ولكن التوقعات المتفائلة لم تدم طويلا ، فاستمرت كثير من معاملات البيع الكبرى التي بدأت في عهد الوزارة السابقة ، ووجد عرب فلسطين كما اشارت الكرمل ان الحكومات على اختلاف نزعاتها ، تتساهل مع الصهيونيين « فعبثا يحاول الوطنيون المخلصون الوقوف في وجه التيار الصهيوني » .

وفي خارج فلسطين كان بعض قادة الرأي العربي في الخارج قد فكر بحل اخر لمواجهة الصهيونية هو التوصل الى اتفاق معها لعوامل عديدة قد يكون من بينها محاولة نزع حليف ذي نفوذ مادي من يد الحكومة العثمانية . وحرصت الكرمل بادىء الامر على تجاهل الحوار الذي دار بين الكتاب السوريين والصهيونيين حول مسألة التفاهم العربي